ميكام
مركز ميريان
للدراسات المتقدمة
في المنطقة المغاربية
MECAM
Merian Centre
For Advanced Studies
In The Maghreb
MECAM Papers

سيرين قرطاس

اللا/مرئية في تمثيل الوليّات في الأدب الصوفي التونسي

MECAM Papers | Number 20 | February 3, 2026 | https://dx.doi.org/10.25673/121920 | ISSN: 2751-6490

تبرز عقيدة التقديس للأولياء الصالحين من بين الممارسات الدينية التي تم توارثها عبر الزمن في بلاد المغرب العربي. وقد أدّت هذه الممارسة التي تنطوي على نوع من التقديس الرمزي، إلى نشوء أنواع أدبية متميّزة مثل كتب المناقب والأوراد التي تُبرز الأدوار الاستثنائيّة التي ينهض بها شيوخ الصوفية في النسيج الاجتماعي والذاكرة الجماعية، بمن فيهم الوليّات الصالحات من النساء.

- تُعنى كتب المناقب الصوفيّة في تونس بتتبّع سِيَر الشيوخ الصوفيين من الرجال وكراماتهم المعروفة بالظواهر العجائبيّة أو الدلالات الروحيّة فحسب، بينما تُهمل إلى حدٍّ كبير الوليّات الصوفيات (الوليّات المتصوفات ومفردها وليّة). ويعكس هذا الإغفال المنظومات الاجتماعيّة والجندرية المحافظة التي كرّسها المذهب المالكي في تونس.

- وفي غياب نصوص رسمية عن سير الأولياء، طوّر أتباع الوليات الصوفيات ممارسات تذكارية متنوعة، من بينها تأليف الأوراد وترتيلها بوصفها نصوصاً تعبّدية. وتقوم هذه الأوراد ببناء الهوية القدسيّة للوليّة، موازيةً في وظيفتها قدرةَ كتب المناقب على جعل اللامرئي مرئياً متحدّية بذلك السرديّات السائدة وفاتحة آفاقا جديدة للتأمّل.

- كُتِبَ وِرْد „أمّ الزين الجمّالية" للاحتفاء بوليّة صوفية من القرن الثامن عشر مساهما بذلك في مناقشة قضايا معاصرة تتعلّق بمرئية المرأة ولا مرئيّتها، وذلك عبر استكشاف هوية هذه الولية الصالحة. ويُظهر التحليل الدقيق للوِرْد مدى قدرة حضور المرأة وسلطتها الروحية على تحدّي المعايير الجندرية السائدة و/أو ترسيخها في مثل هذه النصوص.

- و يساعدنا التعمّق في حبكة الوِرْد، وفضائها، ولغتها على فهم كيفية تخيّل الأدب الصوفي التونسي لمفهوم اللا/مرئية في ما يخصّ المرأة.

السياق

يكشف تحليل وِرْد متعلّق بامرأة عن دور الأدب الصوفي في توثيق ونقل القيم الصوفية والأحداث التاريخية والعادات المحلية. ويُسلط الضوء بشكل خاص على كيفية تصور الأدب الصوفي التونسي للأدوار الروحية للمرأة في المجتمع المغاربي، وتحديد المساحات والحدود التي تعيش فيها.

المناقب الصوفية بوصفها شكلاً من أشكال الفن والأدب

تطوّر التصوّف بين القرنين التاسع والحادي عشرإلى مدارس وطرُق مختلفة (طرائق ومفردها طريقة)، وترافق هذا التطوّر مع إنشاء فضاءات مقدّسة عُرِفت بالزوايا (مفردها زاوية)، وهي أماكن تختلف عن المساجد في الوظيفة والدلالة. وقد احتضنت الزوايا في بلاد المغرب حلقات الذِّكر، والاحتفالات الروحية، والعروض الموسيقية، بما يعزّز البعدَ الروحي للدين ويمنحه حضوراً وجدانياً أعمق. وتقف هذه الأبنية اليوم شواهدَ على أفراد استثنائيين أَحْيَتْ قصصُهم وكراماتُهم الذاكرة الجماعية، مُحدِثةً „شعوراً بالتجاوز الروحي لما هو مألوف ولطبيعية الدلالات“ كما يصف (Pallasmaa 2015: 19).

وقد انفتحت الصوفيّة على أشكال فنية متعدّدة من أبرزها تقليد ثري من الكتابات المناقبية وذلك للتعبير عن هذا السمو الروحي. وتُبرز هذه الأعمال التراجمية خصالَ الأولياء وزعماء الطرق الصوفية، وفضائلهم، وكراماتهم وتعاليمهم. ويُقدَّم الوليّ الصوفي في هذه النصوص كامتداداً للأنموذج النبويّ المتمثّل في شخصية النبيء محمّد. ولا يهدف هذا الأدب إلى تسجيل الوقائع الحياتية فحسب، بل يسعى أيضاً إلى إلهام التبجيل وإثارة الوجد الروحي لدى الأتباع والسالكين، الذين يُعرَفون بالمُريدين (مفردها مُريد). وقد يشارك أتباع الطرق الصوفية في الطقوس، وتلاوة الأوراد، وحضور المجالس الروحية دون سلك طريق التحوّل الباطنيّ الكامل بالضرورة. وكان لمعظم الأولياء الصوفيين مُريدون مميّزون يتولّون تدريبهم وتأهيلهم لحمل تعاليمهم ونقلها إلى الأجيال اللاحقة (Amri 2013) .وازدهر الأدب المناقبي في إفريقية (تونس الحالية)، حيث دوّن عدّة تلاميذ سيرَ شيوخهم وأوليائهم. وتمثّل هذه النصوص أيضاً أعمالاً فنية بصريّة تجمع بين السرد والرموز والعناصر الإيقونيّة لتصنع تجربة أدبية غامرة ومكثّفة.

كما يقف الوليّ في صميم النصّ المناقبي بوصفه الوسيط بين الإنسانيّ والإلهي. ويُنظر إلى الوليّ الصوفي، المعروف أيضاً باسم الوليّ على أنّه قريبٌ من الله إذ تتحلّى روحه بخصال روحية وذوقية دقيقة لا يدركها إلا أصحابُ الحسّ الصوفيّ والذائقة الباطنية. كما يقترن مسار السلوك الروحي باستعداد الوليّ ذو المنزلةَ الرمزية المستحضرة لنموذج نبويّ لمشاركة معارفه وتجاربه. ولذلك تبدأ النصوص المناقبية عادةً بذكر السِّلسِلة، أي سلسلة النَّسَب الروحي التي تُرجِع أصل الوليّ إلى النبيّ محمد. وممّا هو معلومٌ في التصوّف الإسلامي أن تشارك النساء وأولهنّ فاطمة الزهراء ابنة النبيّ بفاعلية في تشكيل هذه السلسلة. غير أنّه يغيب حضورُ هذه الشخصيات النسائية و الوليّات الصوفيات أيضا عن أغلب هذه المناقب رغم إسهام كثيراتٍ منهنّ في إحياء الذاكرة الجماعية التونسية وإثرائها. وقد أثار هذا الغياب اهتماماً بحثياً متزايداً حول موقع المرأة في الأدب الصوفي، ودورها في تشكيل الذاكرة الروحية للمجتمع.

المرأة في الأدب الصوفي وقضية أمّ الزين الجمّاليّة

أُوْلى الفلاسفة الصوفيّون مثل ابن عربي (1165–1240) الذي كان لأفكاره أثرٌ عميق في التصوّف المغاربي، اهتماماً بالغاً بدور المرأة، وبقدراتها واستعداداتها في تحصيل المعرفة العرفانية. فبعد أن خدم فاطمة بنت المُثنّى القرطبيّة مدة عامين، فصّل ابن عربي في أثرها العميق على تكوين بصيرته الفلسفية حول نشأة الإنسان، وعلاقة محبّة النساء بالمحبّة الإلهية. وتميّزت رؤيته بإيمانٍ راسخ بأنّ الأنوثة عنصر أساسيّ لفهم الحقيقة الإلهية (Hakim 2006).

لم تكن النساء في التصوّف مجرد مُلهِمات، بل كنّ أيضاً شخصيات راسخة أسهمن بفاعلية في إثراء العقيدة والتقاليد الصوفية. وتشير (Annemarie Schimmel 1984) إلى أنّ نساء من أسرة النبي، وعلى وجه الخصوص زوجته خديجة وابنته فاطمة، كنّ أول السالكين في دروب السموّ الديني والروحي. وتُبرز الروايات المبكرة عن القيادات الروحية النسائية ممارساتٍ مثل الرحمة، وتُظهرهذه الروايات امتلاكهن سيطرة تامة على النَّفْس (أي

الرغبات)، وهي المرحلة الأولى ضمن المراحل السبع التي يقطعها السالك الصوفي في رحلته نحو الولاية (Qadri 2016). ومن بين هذه الشخصيات أمّ الزين الجمّالية، الوليّة الصوفية من أواخر القرن السابع عشر.

تنحدر أمّ الزين الجمّالية من أولاد طليل في قفصة، ويُنسَب أصلها وفقاً لما يورده التقليد المحلي إلى الخليفة عثمان بن عفّان (تولّى الخلافة بين 644 و656م). ويرتبط اسمها بمدينة جمّال في ولاية المنستير الساحلية. وعند انتقالها إلى جمّال، أقامت بالقرب من الوليّ سيدي فرج الأنصاري، مستمدّةً من بركته في شفاء المرضى وإغاثة المحتاجين. ونظراً لقلّة المصادر المتوفّرة، فمن غير الممكن الجزم بمدى تأثير هذا الوليّ في مسارها الروحي، غير أنّه لا شكّ أن تقاربهما في الموقع أسهم في تشكيل تجربتها الروحية (Nabil 1992). وقد امتنعت الوليّة عن العودة مع أسرتها إلى موطنها الأصلي، إذ آثرت البقاء في جمّال استجابةً لندائها الروحي؛ فتبنّتها لاحقاً عائلة سعيّد التي أقامت ضريحاً على قبرها تكريماً لما عُرف عنها من برّ وصلاح تجاه أهالي المنطقة. وقد روت لي زوجة القيّم على الضريح هذه التفاصيل خلال زيارتي الأولى للمقام بتاريخ 26 ديسمبر 2024، فهي التي تتولّى استقبال الزائرين وسرد الروايات المتداولة عن الوليّة. كما لم تُدوَّن هذه الشذرات من سيرتها في أيّ نص مناقبي، بل أفلتت من النسيان بفضل الرواية الشفوية التي حفظتها النساءُ بالأساس، وبفضل الورد الوحيد المخصَّص لوليّة صوفية، واللذين يحملان معاً اسم „أمّ الزين الجمّالية“.

المرئية واللامرئية في ورد „أمّ الزين الجمّالية“

تُعرَف أمّ الزين لدى التونسيين بلقب „السيّدة“ أو „البُهلِيّة“. ويحتفي هذا الورد الصوفي الشهير بكرامة الولية الصالحة ومقامها الروحي، إذ تركت ملذّات الدنيا وسعت إلى الاتحاد بالله عبر المحبّة والتعبّد ومن أسمائها الواردة في النص لقب „بنيّة جمّال“، وهو إحالة إلى حادثة تُعزّز مكانتها العجائبية فبحسب زوّار مقامها والمعتقدين بولايتها، ضاق حمودة باشا (1759–1814)، أحد أبرز حكّام تونس، بصيتها وانتشار تأثيرها بين الناس، فقرّر سجنها. ولما امتنعت عن الكلام أمامه، حكم عليها بأن تُلقى للسباع الجائعة. وفي الصباح التالي وجدها جالسة في صلاةٍ هادئة، تتولى الأسودُ حراستها. كانت قوة كرامتها من العظمة بحيث تحوّل حمودة باشا من خصمٍ إلى مؤمن بولايتها، فأمر ببناء مقام لها ومنحها لقب „باية تونس“، وهو لقب يضعها في مرتبة سائر الأولياء والقادة الصوفيين في العاصمة (Al-Amri 1974: 54). ومع ذلك، يبقى تاريخ تأليف الورد ودوافعه غير مؤكّدة.

ولفهم الهوية الروحية لأمّ الزين الجمّالية بوصفها وليّة، أعتمد على العمل الرائد علاء لسود حول النساء الصالحات في المغرب (2020)، والذي حدّد ثلاثة عناصر تؤسّس لولاية المرأة: المكان، وأشكال العبادة، ووضعية الجسد. وهنا يغدو مفهوم الجسد الأنثوي محورياً: فهل ينبغي الاحتفاء به أم إخفاؤه؟ ويبيّن استكشاف هذه العناصر في الورد أنّ النص يصوغ العلاقة بين الولية الصالحة والمنشد بوصفها لقاءً بين عاشقَين: يحمل المنشد هداياه معبرا عن محبّته مسرعاً نحو موضع محبوبته المختفية، فيدعوها للخروج للقائه. وأثناء رحلته المستعجلة إليها، يستحضر الأسباب التي جعلته مولعاً بهذه المرأة الأخّاذة.

الزاوية المرئية

تُستَدعى الوليّة الصوفية في الورد لتظهر وتلتقي بمريدها، الذي يقف على عتبة المقام حاملاً ثقل هداياه. وبينما ينتظر الإذن بالدخول، يقول المريد:

„نبدا باسم الله
ندخل بالحلة“
ويفتتح الورد بالقول:
„يا للا، محرابك نور بالذِّكر والكلام الزين“.

وقد اختارت الوليّة الصوفية زاوية صغيرة ملحقة بالمسجد، لتقضي فيها حياتها بممارسة الرياضات الروحية الصوفية، مثل الذِّكر، وهو ما يُعتقَد أنه يستجلب نوراً باطنياً يغمر المكان. من الناحية المعمارية، شُيّد الضريح بطريقة تسمح بدخول الضوء من زوايا متعددة. وقد أولى الصوفيون عناية كبيرة بالعمارة لتجسيد رؤيتهم ومعتقداتهم، مثل وحدة الوجود، حيث تتجلّى حقيقة الذات الإلهية في كل موجود. وتجسّد القُبّة هذا الترابط الكوني؛ فهي ليست مجرد رمز للهيبة الروحية، بل أيضاً موضع لقاء العاشقين، كما يستحضره الورد.

„للا المحبوبة
حضرة و بنادير
وقبة منصوبة على رأس أم الزين
عزها منصوبة و الشيخ المعلوم بابا الجيلاني و أحضر يا أم الزين.“

ويتم الاحتفاء باجتماع هذه الشخصيات المقدّسة تحت القُبّة، وهي رمز بالغ الدلالة على الهوية الولائية لأمّ الزين إذ تتأسّس هذه الهوية ضمن دينامية كونية مترابطة، حيث يمكن لذاتها القدسية أن تتخلّل الأزمنة والأمكنة كافة، على نحوٍ يذكّر بقول ابن عربي إنّ الإنسان هو العالم. وتُفهم الذات الولائية هنا بوصفها „عالَماً صغيراً“ تتجاوز فيه الحقيقةُ الإلهيةُ كلَّ القيود المادية خلال حلقات الذِّكر. كما تُستحضَر هذه الترابطية الكونية في الورد عبر ظهور „بابا الجيلاني“، الذي يُنظر إليه باعتباره الممهّد لمسار السلوك الباطني للولية الصالحة. وتمزج اللغة بين الصورة الحسية والدلالة الرمزية، مُشكِّلةً صورة حيّة للجمع الروحي في ذهن القارئ أو السامع. غير أنّه لا يمكن أن يتحقّق هذا الاجتماع الذي يُقام على شرف أمّ الزين، إلا بحضور وليٍّ صوفيٍّ، ما يعكس بُعداً جندرياً عميقاً في بناء السرد الولائي.
ومع أنّ الارتحال الروحي هو أحد الجوانب الجوهرية للعبادة الصوفية، فإن وجود وليّاتٍ نساء في هذا المجال يظلّ نادراً. ورغم أنّ أمّ الزين معروفةٌ بوصفها امرأةً جوّالة تنتقل من مكان إلى آخر، فإن الورد يحصر حضورها في المساحة الضيّقة لضريحها. ويكرّر المنشد في الورد قوله „وريني الدار خلي نزورك“ ولهذا لقبر دور مزدوج هنا فمع أنّ قلّة من الأولياء تُشيَّد فوق قبورهم قببٌ تدلّ على مقامهم الرفيع، إلا أنّ هذا البناء يُعدّ في الوقت نفسه وسيلةً لحصر حركة الوليةّ فقد حبسها شقيقها في غرفة صغيرة لمنعها التجوال بعدما ضاق بتجوالها. وتروي زوجة القيّم على المقام أنّ الولية دعت على شقيقها، فضاع طريقه في عودته للبيت ومرضت ناقته فجأة. وحين بلغ به اليأس مداه، استغاث بأمّ الزين لتنقذه. وبعد أن أنهكه السفر، غلبه النوم فرأى في حلمه أنّ شقيقته عالجت ناقته ومنحته غفرانها. ولمّا استفاق وجد دابّته مستعدّة للرحيل. ومع تناقل القصة، أدرك أهل جمّال أنّ الفتاة كانت كائناً استثنائياً، وأن تجوالها لم يكن عبثاً بل سلوك وليّة. وما يثير الاهتمام أنّه تم تشييد الضريح في الغرفة ذاتها التي شجنت فيها الوليةعلى يد شقيقها. وكما في كثير من سير الأولياء، تتحوّل أماكن الألم والمعاناة إلى مواضع مقدّسة، إذ يغدو العذاب الفردي إرثاً روحياً للزوّار والمحبّين.

الجسد اللامرئي

و يتناقل الناس في مدينة جمّال روايات تصوّر أمّ الزين على أنها امرأةً بالغة الجمال تنبعث منها رائحة طيبة أشبه بالعطر السماوي، وتكسو يديها نقوش الحنّاء. ويتردّد صدى هذه الصورة في المبالغة المتكرّرة لإشراقها في الورد: „يا للا، طيفك ما ابهاه“ وتحملان لفظتا „للا“ و „البهاء“ دلالة على الجمال الحسيّ والجاذبية. غير أنّ البهاء في الاصطلاح الصوفي لا يُختزل في الحضور الخارجي، بل يُفهَم بوصفه صفة شمولية تنبع من أعمال الرحمة والشفقة والسموّ الأخلاقي، وهي صفات تُكسب صاحبها هالةً من الوقار الروحي. وعلى الرغم من أنّ الورد في جوهره قصيدة حب مطوّلة، فإننا نلاحظ حرصاً على تجنّب أيّ إحالة مباشرة إلى الجسد أو الملامح الجسدية. كما نقرأ في: „يا ام الزين طيفك ما ابهاه اه يا ساحلية“ فتُقدّم الوليّة هنا بوصفها روحاً لا جسداً. ومع تكرار الصفات الروحية التي تُنسب إليها، يتعمّد النص إغفال وجودها الجسدي المتجسّد كامرأة، بما يعكس تصوّراً جندرياً يوجّه السرد الصوفي نحو تصوير الوليّات ككائنات روحانية شفافة، لا كنساءٍ يمتلكن حضوراً جسدياً يمكن أن يُنظر إليه ضمن تصوّر دنيوي أو شهواني. ويثير هذا التمثيل أسئلة مهمّة حول الجسد الأنثوي، وبشكل خاص جسد الوليّة الصوفية: كيف يمكن قبوله أو تمثيله في المجال العام والديني؟ وكيف يُعاد تشكيله ضمن خطاب يطمس مادّيته ليُبقِي على قدسيته؟

يتميّز جسد الوليّة الصوفية بثنائية لافتة للجسد المُطهَّر والجسد المنسيّ؛ وهما متداخلان بحيث يغدو الجسد المُطهَّر هو ذاته الجسد المنسيّ، وبالتالي تُمحى أنوثته. وقد فهم الصوفيون طهارة الجسد باعتبارها ذات بُعدين: فالجسد الطاهر هبةٌ إلهية ينبغي صونها عبر الوضوء والنظافة. يقول:

> „من المقدّسات عند الصوفية النظافة والطهارة وغسل الثياب واستعمال السواك بانتظام وملازمة مجاري المياه والأمكنة المفتوحة والمساجد الواقعة في أطراف المدن والخلوة والاغتسال كل يوم جمعة صيفاً وشتاءً، والروائح الطيبة“. (Amri 2013: 161)

وبالتزام هذا النظام من الطهارة الباطنية والظاهرية، أصبحت الوليّات نماذج يُقتدى بهن؛ وهذا ما يفسّر اقبال النساء الزائرات على شراء البخور، وإشعال الشموع، ووضع الحنّاء عند زيارة المقام، في ممارسة لطقوس الطهارة ذاتها التي عُرفت بها أمّ الزين. كما يسمح هذا التماثل الجسدي لهنّ بالاتصال بالوليّة وبصفاتها وقيمها ليغدو جسدها نموذجاً أصلياً تحتذي به النساء القاصدات للمقام.

كما قدّمت زوجةُ القيّم على المقام في سردها لمسار أمّ الزين الروحي منذ طفولتها المبكرة روايةً تُشبه إلى حدّ بعيد قصة السيدة مريم العذراء، مركّزةً على صفات الطهارة والحماية والقبول الاجتماعي، وهي صفات يمكن تتبّع جذورها في التمثّل القرآني لمريم العذراء. وببلوغها مرتبةً عالية من النقاء والعفّة، أصبحت أمّ الزين رمزاً تونسيّاً للأنوثة الروحية والأمومة القدسية.

ويعزّز الورد هذه الصورة المريمية للبتول التي كرّست حياتها للطريق الصوفي، عندما يستنجد المريد بالوليّة لتخفيف ألمه وإنهاء حزنه. حاملاً هداياه، يصل إلى عتبتها طالباً رضاها وقبول شفاعتها.

وتتعزّز هويةُ الوليّة في الورد بوصفها „أمّ الفضيلة“ من خلال التركيز على قدرتها الشفائية؛ فقول المريد لها „أنتِ دوائي“ مشيرا بوضوح إلى كراماتها. وكما هي الحال مع مريم العذراء، تُعرف أمّ الزين بوصفها شخصية رحيمة، مدافعةً عن التقاليد الإسلامية وحاميةً لها، إلى جانب ما تجسّده من قيم الرحمة والتفاني في العبادة (Nabil 1992). ومن هنا، فإنّ مفاهيم الحبّ والزواج والأمومة التي حُرمت منها هذه الوليّات في حياتهنّ الشخصية غدت هي نفسها نعمتهنّ وكراماتهنّ. وهذه هي الفضائل التي يتناقلنها النسوة الأخريات، بما يساعدهنّ على الاندماج في المجتمع.

„يا أم الزين مريض عليك دخيل
يا للا يا بنية جمال
بالك تنساني يا بنية جمال
بالك تنساني وأنا ما ننساك
على طول زماني...نادوا على أم الزين“

الطريق المرئي للصّحوة الروحية

كانت أم الزين حتى في علاقة بمكانتها القدسية تخضع للهياكل الأبوية. ومن الأمور الأساسية في العلاقة بين المرشد والمريد، الطاعة للمرشد الروحي الذي يمتلك معرفة نبوية لا يمكن فهمها (Amri 2013: 182) إذ يجسد بابا الجيلاني في الورد هذه المعرفة الإلهية، في حين أن أم الزين لم تكن سوى مرآة لذلك:
وتُعزّز الأبيات المقتبسة الدورَ المركزي للمرشد الروحي، الذي تُنسب إليه علاقة أشبه بعلاقة الأب مع أمّ الزين، بوصفها العلاقة الوحيدة المقبولة بين الرجل والمرأة في مجتمع أبوي سنّي محافظ. ويُعدّ كونها تلميذةً للشيخ اعترافاً صريحاً بقدرتها على الارتقاء الروحي. ومع ذلك، يظلّ الورد صامتاً بشأن المسار الروحي للوليّة الصالحة. تقدّم (Lassoued 2020) تفصيلاً للمراحل التي تميّز عادةً مسار الولاية، ومن ضمنها المصافحة التي تُمكّن من انتقال المعرفة الإلهية من المرشد إلى المريد. غير أنّه تم تجاوزُ هذا الاتصال الجسدي القائم على المصافحة في حالة أمّ الزين، إذ يُنظر إليه باعتباره خرقاً خطيراً للأنماط الجندرية السائدة.
وفي غياب توضيح عن مسار أم الزين نحو القداسة، تلخص الأدعية بدلاً من ذلك رحلتها باستخدام استعارة الفل:

„يا مولاة السر الرباني
احضر يا يا للة الريانة،
عزها مولانا والشيخ المعلوم بابا الجيلاني و أحضر يا أم الزين“

ويُنظر إلى زهرة الفل (نوع من الياسمين) في التصوّف بوصفها رمزاً للجمال الإلهي والحضور القدسي. ومن خلال صورة هذه الزهرة التي تمتدّ جذورها عميقاً في الأرض وتفوح بعطرٍ يستدعي الجمال السماوي تحقّقت لدى أمّ الزين حالةُ الترابط بين العالم الخارجي أو الظاهر والعالم الداخلي (الباطن). فبينما يمثّل جمال الفل الخارجي الظاهر، ترمز جذوره الممتدّة إلى الباطن، أي الحقيقة غير المرئية. كما تُجسّد أمّ الزين وحدةً بين العالم المادي والعالَم الروحي الباطني، بما يوضح مسار الارتقاء الصوفي الذي تُبلغه المحبّة، حيث يتعمّق التواصل والانسجام بين المحسوس والروحي. وهكذا تغدو الزهرة استعارةً للمعرفة الصوفية التي بلغتها أمّ الزين.

„نزرع لك فِلّة تلمع بنورك آه
يا مسمية
في طريق الواد
آه يا جمالية
يا للا يا أم الزين
طيفك ما أبهاه
آه يا ساحلية“

الوليّة الصوفية والسلطة الأبوية

في حين أنه يتم تصوير أمّ الزين في الرواية الشعبية كأمّ يلجأ إليها الجميع لتخفيف الألم، وتبديد الشقاء، وشفاء المرضى، فإنّ الورد يأتي في صيغة قصيدة حب يدعو فيها المريدُ محبوبتَه للخروج إليه وإنهاء معاناته. وتكشف هذه الازدواجية في التمثيل عن مسألة الجسد كإشكال محوريّ يتعلّق بولاية المرأة الصوفية. ففي مجتمع لا يُسلِّم بولاية المرأة بسهولة، يصبح لزاماً إخفاء الجسد الأنثوي. وهكذا، فإن إعلان الولاية مع تهميش الجسد يشير إلى الدور الحاسم الذي يلعبه الجسد في ديناميكيات المرئية واللامرئية. كما أنّ إلحاح الورد على دعوة الولية الصالحة للخروج يتشكّل داخل بنية أبوية وذكورية تُعزّز سلطة الصوت الذكوري في التأليف والأداء. ويؤدّي التوتر بين تصوّر أمّ الزين ككائن روحي وبين محو حضورها الجسدي إلى جعل الجسد الأنثوي فضاءً مُلتبِساً للقداسة تُعاد صياغته تحت هيمنة القراءة الأبوية.

المراجع

Al-Amri, Mohamed Hedi (1974), *History of the Maghreb in Seven Centuries: Between Prosperity and Decline from the 7th to the 13th Century AH*, Tunis: Tunisian Distribution Company.

Amri, Nelly (2013), *Un « manuel » ifrîqiyen d'adab soufi*, Sousse: Contraste Editions.

Hakim, Souad (2006), *Ibn Arabi's Twofold Perception of Woman: Woman as Human Being and Cosmic Principle*, Ibn Arabi Society, https://ibnarabisociety.org/woman-as-human-being-and-cosmic-principle-souad-hakim/ (10.10.2024).

Lassoued, Ala (2020), *"Righteous Women" in the Manaqib Literature of the Maghreb from the beginning of the 5th century AH/11 AD to the end of the 9th century AH/15 AD*] « النساء الصالحات » في المدونة المنقبية لبلاد المغرب[, Sousse: Contraste Editions.

Nabil, Ajami (1992), *Umm al-Zayn al-Jemmaliya*, master's thesis, Tunis: Tunisian National Library.

Pallasmaa, Juhani (2015), Light, Silence, and Spirituality in Architecture and Art, in: Julio Bermudez (ed.), *Transcending Architecture: Contemporary Views on Sacred Space*, Washington, DC: Catholic University of America Press, 19–32.

Qadri, Tahir-ul (2016), *World Sufi Forum*, All India Ulama and Mashaikh Board Conference, Delhi: Ramlila Maidan.

Schimmel, Annemarie (1984), *Rabi'a the Mystic and Her Fellow Saints in Islam*, Cambridge: Cambridge University Press.

نبذة عن المؤلفة

تحمل سيرين قرطاس دكتوراه في الأدب المقارن (الإنجليزية) من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة. وفي عام 2023، تحصلت على زمالة طويلة المدى في مركز ميريان للدراسات المتقدمة في المنطقة المغاربية (MECAM) للعمل على مشروع حول مختارات من الأدب الإنجليزي والمغاربي المصنّفة ضمن أدب الانسان الجديد. وتركّز أبحاثها على إشكالية أزمة الذكورة في العصر الحديث من خلال مقاربة صوفية في التحليل الأدبي.

البريد الإلكتروني: kortascyrine@gmail.com

IMPRINT

The MECAM Papers are an Open Access publication and can be read on the Internet and downloaded free of charge at: https://mecam.tn/mecam-papers/. MECAM Papers are long-term archived by MENALIB at: https://www.menalib.de/en/vifa/menadoc. According to the conditions of the Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International Public License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/legalcode), this publication may be freely reproduced and shared for non-commercial purposes only. The conditions include the accurate indication of the initial publication as a MECAM Paper and no changes in or abbreviation of texts.

MECAM Papers are published by MECAM, which is the Merian Centre for Advanced Studies in the Maghreb – a research centre for interdisciplinary research and academic exchange based in Tunis, Tunisia. Under its guiding theme “Imagining Futures – Dealing with Disparity,” MECAM promotes the internationalisation of research in the Humanities and Social Sciences across the Mediterranean. MECAM is a joint initiative of seven German and Tunisian universities as well as research institutions, and is funded by the German Federal Ministry of Research, Technology, and Space (BMFTR).

MECAM Papers are edited and published by MECAM. The views and opinions expressed are solely those of the authors and do not necessarily reflect those of the Centre itself. Authors alone are responsible for the content of their articles. MECAM and the authors cannot be held liable for any errors and omissions, or for any consequences arising from the use of the information provided.

Editor: Dr. Maria Josua

Editorial Department: Petra Brandt

Translation from English into Arabic: Dr. Asma Maaoui

Merian Centre for Advanced Study in the Maghreb (MECAM)

27, rue Florian, HIDE – Borj Zouara, 1029 Tunis, Tunisia

https://mecam.tn

mecam-office@uni-marburg.de

With funding from the: Federal Ministry of Research, Technology and Space

MENALIB THE MIDDLE EAST VIRTUAL LIBRARY

ميكام مركز ميريان للدراسات المتقدمة في المنطقة المغاربية

MECAM Merian Centre For Advanced Studies In The Maghreb